كن عند ربك مرضيا

تفريغ الطالبات للمحاضرات الصوتية ل/

د.ام تميم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَ الْحمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ أن اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾

[النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠ و٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

كن عند ربك مرضيا

إذا نظر العبد في كتاب الله ﷻ، رأى أن الله سبحانه قد أثنى على أنبيائه في كثير من مواضع القرآن وكان ذلك على وجه الإجمال،ثم خص بعض الأنبياء بصفات وذكر أسمائهم، ومن الأنبياء الذين ذكرت أسمائهم وأثنى عليهم الحق تبارك وتعالى.

[إسماعيل عليه السلام]

قال تعالى:﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨)﴾ [ص]

قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ(٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَاإِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)﴾ [الأنبياء]

*وصف ﷻ إسماعيل بأنه من الأخيار،و الصالحين،وبشر أباه إبراهيم عليه السلام، بأنه سيرزق بولد حليم،فوصفه بالحلم أيضًا،وكان هذا الوصف قبل ميلاده عليه السلام.

*فقال جلَّ ذِكره:﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ [الصافات]

*إذًا فصفات إسماعيل عليه السلام تجمع ما بين الحلم والصلاح والصبر وأنه من الأخيار.

*ولكن محور لقائنا اليوم هو آية ورد فيها صفات لإسماعيل عليه السلام أيضًا وهي قول الله تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

*هذه الآية ورد فيها صفات أخرى لإسماعيل عليه السلام غير التي سبق ذِكرها فقال إنه (صادق الوعد،رسول،نبي،مقيم للصلاة في نفسه وفي أهله،وكان عند ربه مرضيًا)

وهذه الصفة الأخير هي موضوع حديثنا اليوم :

﴿كن عند ربك مرضيًا﴾

ولكن كيف نكون عند ربنا مرضِيِّن؟

* أورد الله سبحانه وتعالى صفات إسماعيل عليه السلام،وعدّدها ثم زينها بآخرها (وكان عند ربه مرضيًا)، في هذه الآيات التي سبق ذَكرها والتي بيَّن الحق تبارك

وتعالى فيها صفات هذا النبي الكريم ابن النبي عليهما السلام (صادق الوعد ، والنبوة وبالرسالة وهي أكبر منَّة من الله على عباده،وبالمحافظة على الصلاة،وأمر بها أهله ليقيهم من العذاب ، فكان يُصلي ويُحافظ على صلاته - هذه الشعيرة العظيمة- ،وكان يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد،- رب السموات والأرض-،فدعا إلى التوحيد كسائر الأنبياء)

إذًا كيف أكون عند ربي مرضيًا ؟

حتى ينال العبد هذا الشرف ويكون عند ربه مرضيًا لابد له من التحلي بصفات.

صدق الوعد

إذا تأملنا في الآيات وتحديدًا الآية الأخيرة فإننا نجد عددا من الصفات.

١ .أولها:صادق الوعد:

وهي خصلة عظيمة جدًا وعزيزة جدًا،يعز على كثير من الناس أن يتحلى بها (صدق الوعد)، وقد ذكر ربنا عز وجل هذه الصفة قبل أن يذكر الرسالة والنبوة؛لأنه ما كان ينبغي أن تكون له الرسالة والنبوة بدون صدق، فهذا من المحال!

*فلن يصل العبد إلى أي مرتبة من مراتب الدين ، ولن يكون عند ربه مرضيًا بغير صدق ؛ولذلك جعلها الله أول صفة،فإذا وعد وفى بوعده ، كما قال أهل العلم أن هذا شمل الوعد الذي يعقده مع الله، أو مع العباد،إذًا فإن صدق الوعد يكون على شقين :

١. إما مع الله (فيكون صادقًا فيما عاهد الله عليه).

٢. إما مع العباد (فيكون صادقا فيما عاهد عليه الناس).

فلما وعد إسماعيل عليه السلام وعد بالصبر على ذبح أبيه له؛ لقوله تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾[الصافات: ١٠٢]، فلم يتردد ولو للحظة في أن يمتثل لأمر الله، فجعل بينه وبين ربه وعدا وهو أن يكون من الصابرين؛ فلما أتى الميعاد بالذبح وفى بالوعد وقال لأبيه: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾[الصافات: ١٠٢]

فلم يتردد لحظة،ولم يقل له انتظر لأي سبب، ولكن جاء الوعد فوفى به دون جدال .

❊ الكثير منا يعد الله بأشياء، وعندما يحين وقت الوفاء بالوعد أو العهد يتردد بل ويتراجع عن عهده.

❊ والأشد والأصعب أن يدخل العبد رجلا كان أم امرأة في طاعة ، ثم يرجع وينتكس لطريق لا يرضي الله ﷻ.

لماذا يحدث ذلك؟

يحدث لأنه لم يكن صادق الوعد ابتداءً..

وحتى إن فعل الطاعة لا تكون بصدق

❊ الكثير من المسلمين على وجه العموم ينتشر بينهم اليوم شيء مُحزِن جدًا ويشمل أيضًا الكثير من الذين عاهدوا الله على الالتزام والطاعة، فنجدهم بمنتهى البساطة قد تراجعوا عما عاهدوا الله عليه و انتكسوا وتركوا طريق الحق والطاعة بكل استهانة وبحُجج واهية لا ترتقي لدرجة القبول من العباد فضلًا عن أن يقبلها رب العباد الذي يعلم السر وأخفى ويعلم ما في القلوب وما في العقول وما تَكِن الصدور.

❊الأخ يقوم بحلق لحيته بزعم أن الأمن يُضيق عليه، وكذا الأخت التي تقوم بخلع النقاب وتقول أن الظروف الصحية لها لا تسمح بارتدائه، هذه أشياء عجيبة جدًا ما أنزل الله بها من سلطان.

*والسبب: في ذلك الانتكاس والرجوع هو عدم صدق الوعد مع الله.

* وعلى النقيض عندما جاء الأمر من الله سبحانه لإسماعيل عليه السلام بالذبح مكن أباه من ذلك، - والتمكين من الذبح مصيبة كبيرة يُبتلى بها الإنسان، وهو أن يُأمر بتقديم نفسه فيُضحى به لله عز وجل،وهو يعلم أنه سيذبح، ولذلك فإن للشهيد أعلى المنازل في الجنة،لأنه يقدم نفسه ـ وهي أغلى ما يملك ـ لله عز وجل.

فقدم إسماعيل عليه السلام نفسه ليُذبح،وأقدم على الموت بكامل رضاه ومحض إرادته ولا مُجبِر له على فعل ذلك إلا حبه لربه عز وجل ووفائه بالعهد الذي ألزم به نفسه أمام الله سبحانه، وطاوع أباه فيما إليه دعاه واستسلم لقضاء الله استسلام كامل وهذا هو خير استسلام، وبَر أباه خير بِر،وما رأينا برًا أعلى من هذا .

*ومهما بلغت درجة البِر عند أحدنا فلن تصل إلى هذا المستوى من السمو؛ فبرنا قاصر ومحدود ، لكن بر إسماعيل عليه السلام كان في أعلى الدرجات و أرفعها وأرقاها، لأنه قد بره في نفسه فضحى بها.

وهذا السبب هو الذي جعله مرضيًا عند الله (صدق الوعد)، فما تردد في البذل والتضحية وتنفيذ الأمر لحظة.

وقفة عند العزم وصدق الوفاء به :

*أثنى الله ﷻ في الكتاب العزيز على الذين يوفون بالعهود، كما أنه ذم الذي انتكس ورجع ولم يوف بعهده وخالفه، فهناك فريق أثنى عليهم الله

(الصادقون الذين يوفون بالعهد)

وفريق ذمهم الله

(وهم الذين ينتكسون في العهد وهذا الذم كان شديدا جدًا بل وكانت عقوبتهم أشد)

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾[التوبة: ٧٥ - ٧٧]

* عاهد فريق من المنافقين الله سبحانه وتعالى: أنه لو منَّ عليهم فآتاهم من فضله (المال، التوسعة في الرزق، وغير ذلك) سيتصدقوا ويخرجوا زكاة المال ويكونوا من الصالحين؛ لأن علامة الإنسان الصالح أن يأتي بأوامر الله ﷻ، فلما أتاهم الله من فضله بخلوا ورجعوا عن ما عاهدوا الله

عليه،وهذا هو عدم الوفاء بالعهد، فكانت العقوبة من الله سبحانه أن أعقبهم نفاقاً في قلوبهم .

والنفاق نوعان:

١. النفاق العقدي (متعلق بالقلب وهو كفر).

٢. النفاق العملي (لا يخرج من الملة).

أما النفاق المقصود في الآية:أعقبهم الله نفاقًا في القلب أي: كفر (النفاق إذا رسخ في القلب فهو كفر كما قال أهل العلم) لأنهم رفضوا أداء الزكاة واعتقدوا أنها ليست واجبة، فجاءت العقوبة بالنفاق العقدي المخرج من الملة!

☜ انتبهوا: ربما عاهد المسلم ربه على أشياء ثم لم يوف بها وانتكس وتركها.... فتكون العقوبة على هذا الترك ونقض العهد من أشد العقوبات التي لا يتخيلها؛ ففي الآية أعقبهم الله نفاقًا في قلوبهم (نفاق عقدي مخرج من الملة) وهي عقوبة شديدة جدًا؛ فلنحذر من عدم الوفاء بالوعود والعهود الكثيرة مع الله؛ فهؤلاء رجعوا في العهد الذي عاهدوا الله عليه واعترضوا، وما تذكروا أن هناك يوما آخر سيقفوا فيه بين يدي الله وسيُحاسبهم على ما صدر منهم .

* يعتقد كثيرٌ من الناس أن هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب ، وهذا كلام خاطئ،لأنه صحابي من الأنصار الذين شهدوا بدرًا، ومعلوم أن الذين شهدوا بدرًا ،قد شهد لهم النبي ﷺ: أنهم من أهل الجنة،فلا يجوز بأي وجه من الوجوه أن تكون الآية نزلت في هذا الصحابي.

*عَنْ جَابِرٍ،أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ» مسلم (٢٤٩٥).

فشهد له النبي ﷺ أنه لن يدخل النار،وأنه من أهل الجنة.

* ورد في الآية ذم الله سبحانه لهؤلاء الذين نقضوا العهد والوعد معه وكانت تلك هي العقوبة .

* كما أثنى الله ﷻ على الذين يوفون بالعهد،فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾[المائدة: ١].

وقال عزَّ من قائل:﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾[البقرة:١٧٧]

في الآية ذكر الله صفات الأبرار المؤمنين ومنها الوفاء بالعهد وقال جلَّ ذِكره:﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)﴾[الإسراء: ٣٤].

رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه

وقال سبحانه:﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب: ٢٣].

* نزلت هذه الآية في أنس بن النضر، عندما لم تتح له الفرصة في أن يشهد بدرًا، فشق عليه ذلك،وقال:غُيِّبت عن أول مشهد يشهده النبي ﷺ،لئن أراني الله تعالى مشهدا فيما بعد مع الرسول ﷺ ليرين الله عز وجل ما أصنع.

عن أنس رضي الله عنه قالَ: غابَ عمي أنسُ بنُ النَضْرِ عن قتالِ بدرٍ،فقالَ:يا رسولَ الله! غِبْتُ عن أوَّلِ قتالٍ قاتلْتَ المشركينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَني قتالَ المشركينَ ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ، فلما كانَ يومُ أحُدٍ، وانكَشَفَ المسلمونَ؛قالَ: اللهم! إني أعتَذِرُ إليكَ مما صَنعَ هؤلاءِ- يعني: أصحابَهُ- وأبرأ إليكَ مما صَنَعَ هؤلاءِ- يعني: المشركين-، ثم تقدَّمَ بسَيْفه، فاستَقْبَلَهُ سعدُ بنُ معاذٍ، فقالَ: [أين] يا سعدُ بنَ معاذٍ؟ الجَنةَ ورَب النَّضْرِ،إني أجِدُ ريحَها مِن دونِ أحدٍ، [فمضى، فقُتِلَ]،قالَ سعدٌ: فما استَطَعْتُ يا رسولَ اللهِ! ما صَنَعَ،قالَ

أنسٌ:فوَجَدْنا بهِ بِضعاً وثمانينَ ضربةً بالسيفِ،أو طَعْنةً برُمح،أو رَمْيةً بسَهْمٍ، ووجَدْناهُ قد قُتِلَ،وقد مَثلَ بهِ المُشرِكونَ، فما عَرَفَهُ أحدٌ إلا أخْتُهُ بِبَنانِهِ. أخرجه البخاري (٢٨٠٥)

قالَ أنسٌ: كُنا نرى أو نَظُنُ أنَ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهِهِ:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾

إلى آخر الآية(١)

فقد عاهد رضي الله عنه الله سبحانه على أن يقاتل بشجاعة، حتى آخر نفس يتنفسه، فلما كان يوم أحد؛كان منه ما كان!

❈كانت قلوبهم طاهرة وأعمالهم صافية، وإخلاصهم لله وصل إلى درجة لا يُنازعهم فيها أحد، وكانت أنفسهم عندهم لا قيمة لها ولا وزن طالما ستُبذل في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا الصحابي الجليل كان يحيا على الأرض ولكنه كان يشتم رائحة الجنة، فلا القتل يعنيه، ولا الأهل والولد يُثنيه عن ما هو مُقدِم عليه،ولكن تعلق قلبه بالآخرة، فضحى من أجل ربه ومولاه؛ فقاتل حتى قتل، ووجدوا في جسده أكثر من ثمانين طعنة،قاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصدق ، فوعد الله وعاهده، وصدق في عهده وما تخلف ولا انتكس عند المشهد، ولكن ظل يقاتل في سبيل الله بإخلاص،حتى قُتِل !

❈ هذه القصة تتضمن معاني(الصدق،حب الله ورسوله، الإخلاص، والكثير من المعاني) التي يعجز الإنسان عن أن يصفها.

❈ فيعجز الإنسان عند وصف هذا الصحابي الجليل وما في قلبه من حب وإخلاص لله ﷻ وهضم للنفس وزُهد في الدنيا، يحتاج العبد إلى سنين طويلة كي يصل إلى تحقيق هذه المعاني وترسيخها في القلب.

❈ رجل يقف في ساحة المعركة يُحارب المشركين وتأتيه السهام من كل اتجاه فتنصب على جسده كأنها المطر ويظل يتلقاها حتى تبلغ العشرات من الطعنات وهو رضي الله عنه يُقاتل بنفس القوة والشجاعة والحماس و الإقبال على الله لآخر نفس من أنفاسه فلم يتزحزح لحظة ولم يضعُف أو يستكين ولكنه كان يقف كالجبل يُقاتل ويدافع عن دين الله ويرى أن ما فعله لا يساوي شيئا؛ لأنه بُذل في سبيل الله،واستمر ذلك إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة، لكن المرحلة التي سبقت ذلك كيف كان حاله! وأين كان العقل والقلب حال تلقيه لهذه الضربات وتلك الطعنات!

☜ انتبهوا: لأن العبد يمكن أن تصدر منه الوعود والعهود الكثيرة لله و هو في حال الراحة والاسترخاء،أما إذا حان وقت الوفاء يحدث العكس فينفسخ العزم وينسلخ الإنسان من وعده وينتكس،لماذا؟

لأن القلب غير مملوء بحب الله بل أنه يحمل الكثير من اللغط و الشواغل التي تجعل الاستقبال ضعيف والعمل أضعف وحال المسلمين كما ترون إلا ما رحم ربي .

❊٢. الصفة الثانية: التي جعلت إسماعيل عليه السلام مرضيًا عند ربه هي إقامة الصلاة والأمر بها.

☜ اعلموا: أن إقامة الصلاة على الوجه الذي يرضى الله عز وجل هي الحاجز المتين الذي يمنع العبد من السقوط في الشهوات المحرمة، والشبهات المهلكة ،نحن نتكلم كثيرًا ونحزن على أنفسنا إذا ما قارنا حالنا بحال الصحابة وبماذا وصلوا إلى ما وصلوا إليه بينما نحن غارقين فيما نحن فيه، في أي شيء يكمن الخلل؟ ولماذا نسمع المواعظ كثيرًا والأثر ضعيف؟؟ وما هو السبيل الذي سلكه الصحابة حتى يصلوا إلى أن يرضى الله عنهم ويرضوا عنه؟

أثنى الله سبحانه على إسماعيل عليه السلام ومدحه،فقال:﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥]،فوصفه بصدق الوعد ، وذكر أنه ضحى بنفسه.

ثم قال : أنه يأمر أهله بالصلاة،ويقيمها في نفسه وفي أهله.

*لماذا جاء بالصلاة بعد الصدق مباشرة؟

* سبق أن ذكرنا: الصلاة إذا أُقيمت على الوجه الذى يرضي الله ، فهي حاجز منيع متين، يحول بين العبد وبين السقوط في الشهوات المحرمة، والشبهات المهلكة، فهي أعظم شعيرة من شعائر الإسلام ، وهي أول ما يؤمر به العبد بعد النطق بالشهادتين، فإذا ضاعت الإقامة كان السقوط في بحر الشهوات، هذا البحر الذي لا ساحل له إلا جهنم أعاذنا الله وإياكم منه،قال تعالى:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ [مريم: ٥٩].

أول سبب أنهم أضاعوا الصلاة، ثم اتبعوا ذلك باتباع الشهوات

* وهذا هو حال كثير من المسلمين الآن وهو الوقوع في الشهوات وما كان ذلك إلا لأنهم أضاعوا الصلاة، فهم ما بين مضيعقن للصلاة بالكلية – لا يصلون تماما – وما بين مضيعيين لإقامتها، نسأل الله السلامة.

*قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ : اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة، فقال بعضهم: كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها...... وقال آخرون: بل كانت إضاعتهموها: تركها.

تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٢١٥).

* وللأسف يعكُف أطفالنا اليوم على وسائل الترفيه (الكمبيوتر، الهواتف النَّقالة ، غير ذلك من الأشياء التي تجذب الأطفال)كأنهم عاكفون على صنم فلا يُصلون، وإذا قام أحدهم ليصلى ينقر الصلاة، ولا يؤديها على الوجه الصحيح ، لذلك وقعوا في الشهوات.

*ولو أن المسلمين اليوم عكفوا على كتاب الله،كما يعكفون على الهواتف المحمولة ، والله لانتصرنا على الدنيا بأسرها، الناس اليوم يعكفون على الهواتف حتى في الشوارع ، وكذا مواقع التواصل الاجتماعي وكل ذلك في الباطل ، وهذه من المصائب التي يرتكبها مسلم في زماننا.

فما هو السبب في هذا التمسُك الرهيب بتلك الوسائل؟

هو إضاعة الصلاة!

*أتحدى أن يمكث شخص كل هذه الساعات أمام هذه الأشياء ثم يكون مقيم للصلاة؛ فهذا كلام رب العالمين.

قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾[فصلت: ٤٢]

كلام الله ﷻ كله محكم صدق، الرب يقول مَنْ أضاع الصلاة اتبع الشهوة، وبعد السقوط في الشهوات، يكون من السهل السقوط في الشبهات؛ لأن بابها مفتوح على مصراعيه.

فالعبد لا يريد التكليف. والشهوة مُسيطرة عليه،فعندما تأتيه الشبهات فتُلقى عليه، يتشربها مثل الإسفنج إذا أُسقط عليه الماء بكل سهولة ويُسر، فتأتيه شبهات في السنة، شبهات على الأنبياء، شبهات على الصحابة أو القرآن أو النبي ﷺ..

* كل الشبهات التي يُلقيها اليهود والنصارى والعلمانيين على المسلمين، يتشربها بعض المسلمين مثل الإسفنج، فما هو السبب؟

إضاعة الصلاة !!

ولذلك فإن النبي ﷺ ما أمر في الدين كله بضرب الابن إلا من أجل.

الصلاة، فلم يَقُل ذلك على الزكاة، ولا الصيام، ولا الحج، ولا العمرة، إلا الصلاة فقد أمر بالضرب على تركها من سن العشرة؛ لأن العبد إذا لم يصلِ ذَهَبَ دينه بالكلية، فالذي يسهُل عليه تضييع الصلاة يسهل عليه من باب أولى تضييع ما سواها من الواجبات الأخرى.

* وهل تعتقدون أن مُضيِّع الصلاة سيكون حريص على أن لا يكذب أو يغتاب أو لا يقبل المال الحرام؟؟

مَنْ أضاع الصلاة أضاع الأمانة بكل صورها...

❊ من المستحيل أن نجد شخصا لا يُصلي ثم نثق في أمانته أو في دينه؛لأنه أصبح ممن تتجاذبه الشهوات والشبهات من كل اتجاه.

* فسوف يلقون غيًا:

١.قيل خسارة كبيرة يوم القيامة.   ٢. شر كبير.

٣.وادي في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم (عذابه أليم).

إيتاء الزكاة

٣. الصفة الثالثة:التي وصف بها إسماعيل عليه السلام،هي إيتاء الزكاة،فبعد ما أمر أهله بالصلاة أمرهم بالزكاة،فكان عليه السلام مقيمًا لأمر الله في نفسه وأهله

❊لابد من الانتباه لجزئية:

العبد لا يُحاسب فقط على إقامة شرع الله في نفسه بل لابد أن يُقيمه في أهله أيضًا ، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ

رَعِيَّتِهِ»،قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» أخرجه البخاري (٨٩٣) واللفظ له، و مسلم (١٨٢٩).

* أمر بالصلاة التي تتضمن الإخلاص للمعبود،كما أنه أمر بالزكاة والتي تتضمن الإحسان للعباد .

* وإذا أراد العبد أن ينجو و يكون عند ربه مرضيًا، فلابد أن يُخلص لله ﷻ، ويحسن للعباد، فجمع الله بين الإخلاص لله بالصلاة، ثم الإحسان للناس بالزكاة لأن هذا هو حقهم عنده، فاهتم بأهله حتى تكتمل لهم هذه الصفات عند الله ﷻ، وكان عند ربه مرضيًا بامتثاله لأوامر الله واجتهاده فيما يُرضيه.

فالإنفاق سبب للثبات

*قال الله تعالى في شأن المنفقين:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾[البقرة: ٢٦٥].

*الإنفاق في سبيل الله،سبب في ثبات العباد، فإذا بحثنا في أحوال من يرتد ويرجع عن الدين أو عن عبادة ما قد يتصفون بالبخل والشح، لأن الإنسان المنفق الذي يُقدم أو يبذُل بقدر استطاعته في سبيل الله يكون في غالب الأوقات ثابتا على دينه،وهذا بقول الله ﷻ، وهذا شرط الإخلاص في العمل. بعكس الإنسان البخيل؛ فهو مهدد بالنكوص على عقبيه.

النفس المطمئنة

٤ .الصفة الرابعة للعبد المرضي عند ربه (النفس المطمئنة):

*العبد الذي وصل إلى درجة أن يكون مرضيًا عند ربه ﷻتكون نفسه مطمئنة .

قال تعالى:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠]

النفس المطمئنة نفس راضية عن ربها ابتداءً

فهي ترضى بكل ما قضى الله فيها وقدر (مُرًا،حلوا)،ومن علامتها ،أنها تقف عند مراد الله منها لا مراد نفسها لنفسها، فالله يريد منها الإخلاص تخلص، و الله يريد منها في هذه اللحظة أن تُصلي فتقوم للصلاة، نزلت

مصيبة فيريد الله منها الصبر والسكينة والاحتساب، ليس لديها حب النفس ، وكذا لا تقف عند مراد الناس، فكثيرًا ما تكون النفس خالية من حظوظها لكنها تجد ضغوط من المحيطين بها، فيريدونها بصورة وتصرفات معينة، لكن النفس المطمئنة نفسٌ ناظرة إلى ما يُحبه الله ويرضاه، فهي تسعى إلى الوصول إلى محابه ﷻ أينما كانت وكيفما كانت حتى لو كانت شاقة على النفس، أو على الأهل أو على الأولاد، فلا تختار لنفسها غير ما يختارهُ الله لها.

* فإذا أراد الله سبحانه للعبد وضع معين أو حال معين، لن يجد ذو النفس المطمئنة حرجا بداخله ولا استياء مهما كان أمر الله شاقًا عليه لكن نفسه ترضى بأمر الله،لأن من أختار لها هو سيدها ومولاها الحكيم العليم الرحمن الرحيم الرءوف الكريم المنان، فهي تعلم ربها بأسمائه وصفاته .

* أما النفس الغير مطمئنة فهي تُعاني من هذا الاستياء والغليان (والغليان يحدُث نتيجة عدم رضا النفس عن اختيار الله لها)غير راضية عن أمر الله مُعترضة وبالتالي فهي تتوق على الداوم لما ليس في يديها

* النبي ﷺ عندما مات ابنه بكى،وتلك هي عاطفة الأبوة فقال:«إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ،وَالقَلْبَ يَحْزَنُ،وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» أخرجه البخاري (١٣٠٣) واللفظ له ، ومسلم (٢٣١٥)

كان راضيًا فكانت السكينة،نعم بكى ولكنه بكاء مُتزن بدون صراخ ولا عويل ولا أفعال جاهلية،والعبد إذا رضي بقضاء الله و بما قدر الله له و اختار فستكون نفسه مطمئنة مرضية.

*إذا كانت النفس مطمئنة في الدنيا فإنها عند خروج الروح منها يُقال لها ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فقد كانت في الدنيا راضية بكل ما قدر الله وشاء واختار لها،فلم تختر لنفسها، فكان الجزاء من جنس العمل فرضي الله عنها في الآخرة وأسكنها في أعلى عليين، وذلك هو أعلى المطالب وغاية المنى، أن يكون محور حياتنا ومدار فكرنا وعقولنا وقلوبنا الوصول لهذه الغاية العظيمة التي لا تُعادلها غاية أخرى وهي(كيف يكون العبد عند ربه مرضيًا)؟تلك المنزلة تحتاج إلى جهاد ووقفات مع النفس وزجر للشيطان، ولكن ليس ذلك على الله بعزيز.

فالنفس المطمئنة راضية بأمر الله، فهي رضيت عندما فهمت عن الله، و علمت صفاته وأسمائه،وعلمت أن سعادتها وراحتها لن تكون إلا في رضا الله ﷻ،هذه النفس فهمت أن السعادة لا تأتي من تحقيق ما تريد بل ما يريده الله ويرضاه، فمعرفة العبد لنفسه ناقصة ومعرفة الرب كاملة.

هل هذا الذى نتمناه سيكون سبباً في سعادة النفس أم لا؟

*معرفتنا بأنفسنا،وما يسعدنا،وما يصلحنا معرفة ناقصة بالتأكيد؛ لأننا بشر والعقول ضعيفة وبالتالي فإن تقديرنا ضعيفٌ قاصر،ولكن تقدير الله العليم الحكيم، ومعرفته بحال العباد كاملة تامة،وكذا فإن حكمته كاملة أيضًا لا يعتريها الخلل،وتقديره أعظم التقديرات.

فتاة كانت دائمًا حزينة،ومُكتئبة،ومريضة، غاية مرادها الانتقال إلى بيت آخر، فلبى لها الأب رغبتها،واشترى لها بيتًا واسعًا،وكبيرًا،وفيه حمام سباحة ، وبعدما انتقلوا إلى هذا البيت،انتكست هذه الفتاة أكثر مما كانت،وقالت: لم أنزل إلى حمام السباحة،منذ أن سكنت،وساءت حالتها أكثر مما كانت عليه فلماذا ؟

*لأن تقديرنا بما يسعدنا قاصر،وهي التي تصورت أنها ستسعد بذلك..

وهذا خطأ......

*أما النفس المطمئنة فإنها تعلم عن الله كل هذه المعاني، فرضِيت باختيار الله، ولم تقدم شهواتها ورغباتها على أوامر الله، وعلمت أسماء الله وصفاته وأن حكم الله وتقديره هو الأصلح لها،فإذا راودتها شهوة أو أراد أحد أن يضربها بشبهة قدمت أمر الله على رغبتها؛ لأنها لو قدمت ما تريد على أمر الله،فلن تسعد أبدا، فكل هذه المعاني تحتاج لوقفات مع النفس.

فتقديم شهوة النفس لتصورها أنها ستسعد بذلك هو سبب في شقائها، يحدث بسببه الندم والحزن والأسى على ما فات من حظها من رضا الله وهو أعظم الحظوظ،ويفوتها بذلك أعظم المعاني وأجلها وهي (القُرب من الله ،الأُنس بالله،حب الله،رضا الله عنها) فلا هي سعدت في الدنياولا هي رُزقت الطمأنينة التي تجعلها في الآخرة مرضية عند الله سبحانه وذلك هو الخسران المبين .

توحيد الهدف

❊الصفة الخامسة:لتكون عند ربك مرضيًا هي توحيد الهدف فيجب أن يكون هذا هو شُغلك الشاغل،وهذه جزئية عظيمة جدًا قل أن يلتفت إليها أحد،فلا يشغلك إلا هدف واحد (فتجتهد في أن تجمع شعاب قلبك وعقلك لإرضاء الله)فتكون دومًا على استعداد للقاء الله، تعلم أن الموت قريب جدا أقرب من شراك النعل..

فتنظُر إلى نفسك أين تقف؟؟

وإلى أعمالك كيف تؤديها ؟؟

❊ العبد المرضي يكون مستعد للقاء الله بل ويشتاق إلى رؤية سيده ومولاه، فلا يحزن على حظوظ الدنيا؛ لعلمه أن حظوظها فانية، زوج كان،أو أولاد، أو غير ذلك، فيعلم أن حظوظ الدنيا فانية مهما طالت،وحظوظ

الآخرة باقية ولابد، علمه هذا هو علم يصل به إلى درجة اليقين الراسخ في القلب والذي يجعله يتحرك نحو تحقيق الهدف

حزن العبد المرضي حزنٌ محمود:

*من الحزن المحمود،يحزن على وقت مر في غير مرضات الله..

كم من الساعات والأوقات ضاعت في غير مرضات الله؟؟

فأسفه وحزنه،على وقت فات من غير(تزود من القرآن، ذِكر لله،اتصال به، علو وارتقاء،تحصيل علم،تقرُب إلى الله أو أُنس به)،فإذا علم الله ما في القلب من هذا الحزن أثاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صاحب هذا القلب بفضله وكرمه وإحسانه الرضا، وقد يكون حزن العبد سبب في رُقيه وعلوه أكثر من طاعة قام بها وكان في حالة من العُجب أو رؤية النفس .

فأحزن فقط على وقت فات من غير طاعات

بايعوا النبي ﷺ فرضي الله وأنزل السكينة وكان الفتح:

* قال تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾[الفتح: ١٨]

فعندما دعا رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه، وأرسله إلى قريش،وقال:أخبرهم أنا لم نأتِ لقتال وحرب، وإنما جئنا عُمَّارًا - أي: نبتغي العمرة - وادعهم إلى الإسلام، فانطلق عثمان رضي الله عنه لما وجَّهه إليه رسول الله ﷺ وأتى قريشًا، وبلَّغ زعماءها الرسالة التي حمَّله إياها رسول الله ﷺ فلما فرغ من إبلاغ رسالته،عرضوا عليه أن يطوف بالبيت،فرفض هذا العرض،ثم شاع بين المسلمين أنه قتل.

فلم بلغت تلك الإشاعة رسول اللهﷺقال:(لانبرح حتى نناجز القوم)ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا إليه يبايعونه على ألا يفروا، وبايعته جماعة على الموت .

❉فعلم الله ما في قلوب الصحابة من توحيد الهدف فهم لا يريدون إلا الله فبايعوا النبي ﷺ على تقديم أرواحهم وأموالهم وكل شيء في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله فأنزل الله سبحانه هذه الآيات، فكساهم ثوب الرضا والطمأنينة والسكينة في القلوب وعدم الانشغال بغيره ثم أثابهم بالفتح القريب .

❉الشاهد:أن الله ينظر إلى القلوب ويعلم ما فيها فينزل عليها السكينة، و يرضى عنها، ونحن نحتاج إلى أن نجمع همنا كله على الله، حتى نكون مرضيين عنده عز وجل.

*قال أهل العلم:(لا يقنع من الله بأمر يسكن إليه دون الله،ولا يفرح بما حصل له دون الله،ولا يأسى على ما فاته سوى الله،ولا يستغني برتبة شريفة وإن عظمت عنده أو عند الناس،فلا يستغني إلا بالله،ولا يفتقر إلا إلى الله،ولا يفرح إلا بموافقته لمرضاة الله،ولا يحزن إلا على ما فاته من الله، ولا يخاف إلا من سقوطه من عين الله،واحتجاب الله عنه ، فكله بالله، و كله لله،وكله مع الله،وسيره دائما إلى الله،قد رفع له علمه فشمر إليه،وتجرد له مطلوبه فعمل عليه، تناديه الحظوظ: إلي، وهو يقول : إنما أريد من إذا حصل لي حصل لي كل شيء،وإذا فاتني فاتني كل شيء،فهو مع الله مجرد عن خلقه،ومع خلقه مجرد عن نفسه،ومع الأمر مجرد عن حظه، أعني الحظ المزاحم للأمر، وأما الحظ المعين على الأمر فإنه لا يحطه تناوله عن مرتبته ولا يسقطه من عين ربه).

*فلا يفرح الإنسان، ولا يرضى بأي أمر،ولا بأي رتبة شريفة، إلا إذا كان ذلك يُرضي الله وإن كان شريفًا عند الناس إلا أنه لا يستغنى بهم عن الله، ومهما أوتي في الدنيا من أشياء فهي لا تستحق الفرح بها إذا كانت ستبعده عن الله أو تُنقص قدره عنده، فالحزن كله لله وبالله .

على العبد أن يحذر من السقوط من عين الله سبحانه:

* دائما ما يحذر العبد المرضي من أن يسقط من عين الله،فمن الممكن أن أفعل معصية أراها صغيرة،ولكن يُمكن أن تكون سببا في السقوط من

عين الله ﷻ،وهذه مصيبة كبيرة،لأني لا أعلم متى يرضى الله عني مرة أخرى؟

* فربما وقع المسلم في الذنب إتكالا منه على مغفرة ورحمة الله عز وجل – وهذا من الإرجاء – فتضعف عزيمته ويقبل على اقتراف المعاصي بلا رادع، فالقلوب معلقة بمعاني الإرجاء أكثر من تعلقها بالخوف وكون الله جبارا قهارا، فليحذر العبد من معصية تُسقطه من عين الله ولا يعلم متى سيرجع مرة أخرى ، أوهل سيرضى الله عنه مرة أخرى أم لا ؟

هذا أولًا......

*ثانيًا:الذي يعصي الله من باب أن الله غفور رحيم عفو لطيف،وقع في شيء لابد من الانتباه إليه،فالعبد عندما يعصي الله ثم يستغفر فإن الله يغفر له لأنه هو الغفور ولكن هذا العبد رغم مغفرة الله له إلا أنه فقد مكانة كان قد حققها، فلو تخيلنا أن درجات الإيمان مائة درجة وعلى سبيل المثال وصل العبد إلى الدرجة رقم ستين ثم صدرت عنه معصية أنزلته إلى الدرجة الأربعين ولما استغفر ربه تاب عليه ولكن هل صعد مرة أخرى إلى درجته؟

الله هو الذي يعلم هل ثبت في درجته الأولى أم لا، فضلًا عن أنه كان سباقا سائرا في طريق الارتقاء صاعدا لمدارك الكمال وصار الآن أقصى طموحاته الثبات على حاله الأول...

*هذه جزئية تجعل العبد يُفكر مرات قبل أن تنزلق قدمه في المعصية، وقبل أن يستهين بمعصية الله أيًا كانت صغيرة أو كبيرة، فعليه أن يعلم أن معصيته سبب في نزول درجته ويُفكر أنه من الصعب الرجوع كما كان عند الله فضلًا عن أن يرتقي وهذا يُعد حائط صد بينه وبين الزلل في شراك المعصية.

*رفع له علمه فشمر إليه .... وتجرد له مطلوبه فعمل عليه:

رفع إليه العلم فبالعلم يصل لهذه المعاني؛ ولكن يلزم العمل،لأن العلم وحده لا يكفي فعلم هذا..

*" تناديه الحظوظ إليه وهو يقول :إنما أريد من إذا حصل لي حصل لي كل شيء، وإذا فاتني، فاتني كل شيء"

فالحظ يناديه للوقوع في المعاصي،وهو يقول:لا لن يكون هذا أبدًا

وتناديه الحظوظ أي:متع الدنيا (الاختلاط،والمعاصي) وهو يقول :

لا إليك عنى !

*فهو يسعى للحصول على رضا الله فهو عبدٌ مرضي لا يطمع ولا يرضى إلا برضا الله، حظوظ النفس تناديه،ورضا الله يُناديه، وأيهما كان أقرب إلى قلبه كانت الاستجابة له.

* فالعبد المرضى،مجرد مع الله عن خلقه، وهو مع خلقه مجرد عن نفسه، ومع الأمر مجرد عن حظه (المقصود هو الحظ المزاحم للأمر)

١ .مع الله مجرد عن خلقه وكأنه لا يشعر بهم ولا يراهم .

٢ .مع خلقه مجرد عن نفسه فلا يريد حظ نفس من أحد،ولا مدح،ولا تزكية .

٣. مع الأمر مجرد عن حظه أي: أنه إذا أمر بأمر من الله، فلا يسأل عن حظ نفسه فيه ما هو؟

*إنسان أخرج صدقة فلا يسأل بعدها كم سيكون الأجر؟؟، وليس معنى ذلك أنه يرفض ثواب الله ولكن المقصود هو عدم انشغال القلب أو تعلُقه بحظ نفسه من هذا الثواب، أعلم أن ربي كريم يُضاعف الحسنات، فهو يعمل عمل طيب ويرجو القبول ثم إن أعظم ثمرة تأتي من وراء هذا العمل هي رضا الله ﷻ،وهذا من ضمن جمع شعاب القلب على الهدف الواحد وهو رضا الله سبحانه وتعالى .

الاهتمام بالأصول دون الرسوم

*الصفة السادسة للعبد المرضى: وهي مهمة جدًا، وعليها مدار الأمر كله

(أنه لا يكتفي بالرسوم ولكنه يسعى دومًا للوصول إلى الأصول)

اعلموا:أن أهل العلم العاملين في كل زمان ومكان،لا يقنعون برسوم

الأعمال وظاهرها ولكنهم بعد كل عمل يصدر منهم يُحاكمون أنفسهم ويُحاسبوها، هل قاموا بالعمل على الوجه الذي يرضي الله ﷻ؟

هل هذا هو مراد الله منا؟

وهل أتيتنا بالظاهر فقط أم أننا وصلنا إلى الأصول؟

*المقصود بالأصول: هي روح الأعمال و المعاملات والأخلاق .

أما الرسوم: فهي ظاهر العمل، ظاهر الحج والصلاة والصيام والزي الشرعي وغير ذلك، ومعلوم أن أهل الرسوم – المتمسكين بالمظهر المفريطن في الجوهر - كانوا سببا كبيرا جدًا في صد الكثير من المسلمين عن الالتزام بدين الله، وصد غير المسلمين عن الدخول في دين الله، فهؤلاء قد اكتفوا بالرسم أي الظاهر فقط، وإن كنا نقر جزما أن الرسم الظاهر مهم جدا لكن لن يكون سببًا لوصول العبد لحقيقة الأوامر، كما أنه لن يكون سببًا في هداية الآخرين.

فأهل العلم العاملين في كل زمان ومكان وأيضًا طلبة العلم علموا أن الرسم لا يكفي،ولا يكون سبيلا في الوصول إلى مراد الله،و بالتالي فهو يسعى في الوصول إلى الأصول، فيسأل نفسه ...

هل الصلاة أثرت في قلبي؟

بعد صلاة الظهر مثلا هل أثرت الصلاة فيَّ وازداد إيماني؟

*وهناك فرق بين رسوم الصلاة - أداؤها دون شعور بها- وفرق بين الذى صلى،وهو في خشوع وحضور قلب فأثرت الصلاة في قلبه،فيدخل في الصلاة بحال، ويخرج منها بحال آخر.

* كثيرًا ما نعمل الأعمال ولا نجد لها أثرا في القلب، ولا توجد لها ثمرة على سلوك وأفعال الآخرين، ولا زيادة لهم في معرفة الله،فإن كان ذلك فاعلموا أن هذه الأعمال رسوما ليست أصولا .

* فالعبد العالم العامل، يسعى دائمًا للخروج من الرسوم ويرتقي في مدارج الكمال بالحسنة المرجوة من الله فيكون عند ربه مرضيًا.

* إنما أهل الرسوم والظاهر، فآخر مطلبهم من العمل هو الحسنة المرجوة من الله لامتثالهم أمره، كمن يخرج من الصلاة،يقول:أستغفر الله،وهو سرحان ويضحك ، فهو سعيد أنه صلى ، وانتهي من الصلاة كأنها هم، لأنه أدى رسم الصلاة.

* لكن لو أمعنا النظر،في سنة رسول الله ﷺ التي سنها لأمته وهي الاستغفار ثلاث مرات بعد الصلاة،لعلم الذي يؤدي الصلاة بهذه الكيفية أنه من أهل الرسوم ،وليس من أهل الأصول، سن النبي ﷺ أن نستغفر بعد الصلاة ثلاثًا،فعن أي شيء نستغفر وقد كنا في طاعة؟

نستغفر عن صلاة ناقصة، لا ترضي ملك الملوك، ولا تليق بجلاله وكماله فما شكرناه حق شكره، وما قدرناه حق قدره ،وقد يبكي صاحب القلب الحي على ضياع هذه الشعيرة العظيمة لأنه من أهل الأصول، أما أهل الرسوم فقصار النظر، فهم في فرح وسعادة بانتهاء الطاعات.

كيف نفر من الرسوم إلى الأصول؟

بعض المسلمين محبوسين في إطار لا يخرجون منه، وهذا الإطار هو رسم العمل لا أصله، فيحج الواحد منهم ولا يتغير،يسمع الدروس ولا فائدة وقد يصل الأمر أن يكون داعي من الدُعاة ولكن عنده خلل، فكيف الخروج ؟

بعدة أمور:

*أولًا:تهذيب الأخلاق بالعلم:

فلا يتكلم ولا يتحرك، ولا يفعل شيئًا،إلا بموجب العلم بالكتاب والسنة، فالأخلاق كلها – الظاهرة والباطنة– يزنها بميزان الشرع .

*إنسان يدعي أنه متواضع ـ وهذا خلق عظيم،يلزم أن نتحلى به، لكنه يظن التواضع في غض الصوت،واللين، وللأسف يفعل ذلك وقلبه ملئ بالكبر،ولا سبيل إلى إخراج الكبر من قلبه وإبداله بالتواضُع إلا بالعلم

لماذا؟

لأن الكبر له علامات، فا لمتكبرون لهم صفات تميزهم، وهم مذمومون عند الله، وكذا فإن للتواضع شروط و علامات، كل هذه الأشياء لن يعرفها العبد إلا بالعلم الذي يجعله يسعى إلى التواضُع، ويُجاهد العبد نفسه لتحقيق خُلق التواضع جهاد في الظاهر حتى يصبح في الباطن علم راسخ أو خُلق راسخ في القلب، فيتواضع ويتكلف التواضع وهكذا إلى أن يُصبح متواضعًا، وعلى النقيض من ذلك فإن العلم بأن المتكبر لا يدخل الجنة، وأن الله سبحانه ذم الكبر في الكتاب والسنة. يجعل المرء يسعى ويبذل الجهد للتخلص من هذه الصفة المذمومة...

*قال تبارك وتعالى:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[الأعراف: ١٤٦]

يقول تعالى:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]

ويقول جل ذكره: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]

*عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» أخرجه مسلم (٩١)

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ ﷺ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ " أخرجه مسلم (١٠٧)

▫سئل ابن المبارك عن الكبر فقال: " أن تزدري الناس، وسئل عن العجب، فقال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك"

▫قال الجنيد: "أعلى الكبر أن ترى نفسك، وأدناه أن يخطر ببالك"

▫قال الشافعي: "إذا خفت على عملك العجب، فاذكر رضا من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله"

▫قال الأحنف بن قيس: "عجبتُ لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر"

مرة عند الدخول في رحم الأم والأخرى عند الخروج (الميلاد)

▫وقال محمد بن الحسين بن علي: "ما دَخَل قلبَ امرئ شيءٌ من الكِبْر قطُّ، إلاَّ نقَص من عقْله بقَدْر ما دَخَل من ذلك؛ قلَّ أو كثُر"

فكل متكبر عقله ناقص، لم يؤتَ الحكمة، وكثيرٌ من المتكبرين بهم سفه، لأن الله يضع من شأنهم، فأرادوا العلو لأنفسهم فأذلهم الله عز وجل في

الدنيا قبل الآخرة ، وعندما نعلم هذه المعاني فلابد أن نسعى لنكون من المتواضعين .

▪وكان سفيان بن عُيَيْنَةَ، يَقُولُ:

«مَنْ رَأَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ فَقَدِ اسْتَكْبَرَ، وَذَاكَ أَنَّ إِبْلِيسَ إِنَّمَا مَنَعَهُ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِكْبَارُهُ» .

❊أي إنسان يرى أنه أفضل من غيره مالًا ، أو جمالًا ،أو غير ذلك فهو متكبر ،فإذا كان لديه مالًا ليس عند غيره فلينظر إلى هذا المال ويرى أنه سيكون سببا في الوقوف بين يدي الله ليسأله عنه وقد ينجو وقد لا ينجو ومن هنا يعلم أنه بهذا المال على خطر عظيم فلا يتكبر به على الفقير، و قياسًا على ذلك أي ميزة يتميز بها شخص عن الآخر قد تكون سببا في شقائه في الآخرة ، فينكسر العبد ويذل لرب العالمين .

❊٢.توقير الحقوق في المعاملات:

وأما توقير الحقوق في المعاملة فهو أن تعطي ما أمرت به من حق الله و حقوق العباد كاملًا موفرًا ، قد نصحت فيه صاحب الحق غاية النصح ، وأرضيته كل الرضا ، ففزت بحمده لك وشكره.

فالله عز وجل أعطا العباد نعما كثيرة وأمرهم بأداء حقوق عليهم، فقد أعطا الصحة وسلامة البدن، و أمر بحق صلاة وصيام، فهذه من الحقوق

التي لله والتي يجب أن تؤدى، وكذلك حقوق العباد عليه أن يؤديها كاملة ا دون أن يبخسهم حقهم، فالبعض عند أخذ الحق يأخذ حقه كاملًا،ولكن عند إعطاء الحقوق للعباد تكون نفسه شحيحة،وهنا يكمن الخلل ...

قد نصحت فيه صاحب الحق:

أي حدثت له تصفية من كل شيء يشوبه .

* فالله يرضى منا،أن نؤدي حقه وحق العباد على أكمل وجه...

مثال: فمن مظاهر التوقير لحق الله تعالى مثلا عند أداء الزكاة، على العبد أن يحسب مقدارها بدقة ولا يتهاون في ذلك أبدًا، بل يبذل الجهد والوقت لمعرفة القدر المنضبط لزكاة ماله، ومن مظاهر التوقير أيضًا أن يستشعر دومًا التقصير، فربما لا يكتفي البعض بإخراج ما عليه بل يُتبعه بالصدقة تحسبا للخطأ أو التقصير، ولابد كذلك أن أعلم حق المسلم عليَّ ، أن أغسله ، وأن أشهد الجنازة،وأن أشمته إذا عطس،وأعوده إذا مرض،أجيبه إذا دعاني إلى وليمة،أنظر للحقوق وأؤديها على أكمل وجه، هذا يخرجنا من الرسم إلى الوصف،فلابد من توقير الحقوق في المعاملات.

*٣. تصفية الأعمال بالإخلاص:

*الإخلاص أصل من أصول أي عمل ولا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا إذا كانت خالصة لوجهه الكريم، فلا بد أن يجاهد العبد نفسه للتخلص من حظوظها في الأعمال جميعها، وبذلك يخرج العمل من رسمه لأصله؛ لأن الرسم سيوقع النفس في الحظ ولابد، ولكن حتى يخرج العبد من حظ النفس ويمتنع منه بالكلية ويكون عمله خالصًا لوجه الله تعالى،أنتقل من الرسم إلى الأصل كيف؟

*أن يُخلص في العمل، ويجاهد نفسه ما استطاع،بالأعمال الخفية تارة ، وبالدعاء تارة، حتى يصل إلى الإخلاص،و حتى يكتب عند الله من المخلصين.

*من المحال أن يكون العبد مرضيًا عند الله،وهو غير مخلص له،أو عنده رياء أو نفاق،أو أعماله فيها شرك لله،فالله لا يرضى بهذا أبدا.

قال تعالى:﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾[الزمر]

الكفر بكل أنواعه (الأكبر، كفر النعم)

عندما يُنعم الله على العبد بنعمة يستبدل حمده وشكره على هذه النعمة ويُشارك فيها عباده، وهذا من أسوء أنواع الكفر.

وعلى العبد شكر الله، فيكون عمله خالصا لوجهه وليس لغيره،لأنه سبحانه صاحب العطاء والمنَّة ابتداءً وانتهاءً.

أسأل الله أن ييسر لنا ابتداءً ويتقبل منا انتهاءً،ويُثَبت الرضا في قلوبنا ولا يحرمنا من رضاه عنا بذنوبنا وأن يجعلنا عنده راضين مرضيين إنه ولي ذلك والقادر عليه، إنه قريب مجيب للدعاء.